العهد والميثاق
في الكتاب المقدّس والقرآن

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس، الكسليك

مقدّمة

يشكّل موضوع العهد، كما أيضًا موضوع الوعد، رباطًا وثيقًا يخترق تاريخ الخلاص منذ البداية وحتّى المنتهى، إذ ارتبط الله بالبشريّة عامّةً وبشعبه الذي شاءه بركةً لكلّ أمم الأرض خاصّةً بعهدٍ أبديّ حدوده محبّة الله اللامتناهية للإنسان، وهذا ما نستنتجه ممّا جاء في عب ١: ١–٢: "إنّ الله، بعدما كلّم الآباء قديمًا بالأنبياء مرّات كثيرة بوجوه كثيرة، كلّمنا في آخر الأيّام هذه بالابن". لذلك تبنّت الكنيسة الناشئة العهدَ القديم ككتاب مقدّس لها أيضًا التزامًا منها بإرادة المسيح سيّدها وعملاً بقوله، "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ؛ مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ" (مت ٥: ١٧)، وتأكيدًا على تواصل عهد الله في حياتها ومسيرتها.

وبما أنّ القرآن يتكلّم على الموضوع عينه بتسميات مشابهة ومتنوّعة، ولكن بمضامين مختلفة إلى حدّ كبير، رأينا أن نستعرضه في المكانَين بهدف إبراز خصائص كلٍّ منهما وأبعادهما.

١ – العهد البيبليّ

ارتبط الله بالإنسان وخاطبه من خلال الخليقة، لذا هتف صاحب المزامير قائلاً: "السَّماواتُ تُحدِّثُ بمجدِ الله، والجَلَدُ يُخبِرُ بما صَنَعَتْ يداه"[١].

يقول الكاتب اليهوديّ أندره نِهِر: "إنّ فكرة العهد بين الله والبشر... هي إسهام الفكر العبريّ الأكثر فرادة"[٢]؛ فاستنادًا إلى الفكر المذكور ينطلق العهد بين الله والبشر منذ نوح (تك ٩) عندما أعطى الله علامةً للبشريّة بأسرها، هي قوس القزح، يتعهّد بها بأن لن يكون طوفان من بعد على وجه الأرض. وتتوجّه شرائع الله إلى الأمم بأجمعها وليس إلى بني إسرائيل فقط؛ فالله قد شاء أن يُتِمَّ هذا العهدَ البيبليّ بالمعنى الحصريّ، وعَبْرَ الشعب العبريّ ومن خلاله، ليكون مشروعَ حياةٍ للبشريّة. يعترض بعضُ اليهود على المسيحيّين الذين يرغبون في أن يكون العهد مفتوحًا أمام شعوب الأرض كلّها، لكن، وكما أنّ "كلمة الله لا تُقَيَّد"[٣]، كذلك تصميمه بأن يكون العهد للجميع لا يمكن لأحد أن يصدّه أو يقف في وجهه.

(١) مز ١٩: ٢. أنظر أيضًا روم ١: ١٩–٢٠: "لأَنَّ ما يُعرَفُ عنِ اللهِ بَيِّنٌ لهم، فقَد أَبانَهُ اللهُ لهم؛ فمنذُ خَلْقِ العالَم لا يَزالُ ما لا يَظهَرُ مِن صفاتِه، أَي قُدرتُه الأَزليَّةُ وأُلوهتُه، ظاهرًا للبصائِرِ في مخلوقاتِه؛ فلا عُذْرَ لهم إِذًا، لأَنَّهم عَرَفوا اللهَ ولم يُمجِّدوه ولا شكروه كما ينبغي للّه، بل تاهوا في آرائِهِم الباطلة، فأَظلَمَت قلوبُهمُ الغبيّة".

(2) André Neher, *L'essence du prophétisme*, PUF 1955, p. 116.

(٣) ٢ تيم ٢: ٩.

١/أ – لدينا في الكتاب المقدّس عهود عدّة:

ثلاثة غير مشروطة قطعها الله، مع البشريّة عامّة، ثمّ مع بني إسرائيل، وهي: مع آدم، ومع نوح، والعهد الجديد؛

وأربعة منها قطعها الله مع شعب إسرائيل، وهي: مع إبراهيم، مع بني إسرائيل بشأن الأرض، مع موسى، ومع داود.

بمعزل عن طاعة بني إسرائيل أو تمرّدهم، سيحقّق الله هذه العهود معهم، مع التذكير بأنّ العهد مع موسى هو مشروط، أي أنّ طاعة بني إسرائيل لمتطلّبات العهد ستجلب لهم البركة، أمّا تمرّدهم فسيتسبّب لهم باللعنة.

– كان **عهد الله مع نوح ومع البشريّة** غير مشروط؛ فلقد **وعد اللهُ** بأنّه لن يدمّر الحياة على الأرض بالطوفان ثانية (رج تك ٩)، وأعطى لهذه الغاية **قوسَ القزحِ كعلامةٍ على العهد** (رج ٢ بط ٢: ٥).

– **العهد مع إبراهيم** (رج تك ١٢: ١–٣، ٦–٧؛ ١٣: ١٤–١٧؛ ١٥؛ ١٧: ١–١٤؛ ٢٢: ١٥–١٨). في هذا العهد **وعد الله إبراهيم** بأمور عدّة:

بأن يجعل اسمه عظيمًا (تك ١٢: ٢)،

وأن **يكون أبًا لأبناء كثيرين** (تك ١٣: ١٦)،

وأن **يكون أبًا لأمم كثيرة** (تك ١٧: ٤–٥)؛

كذلك أعطاه الله **وعودًا خاصة بأمّة ستُدعى "إسرائيل"**. يرد ذكرُ الحدود الجغرافيّة للعهد مع إبراهيم في تك ١٢: ٧؛ ١٣: ١٤–١٥؛ ١٥: ١٨–٢١.

وممّا تضمّنه العهد مع إبراهيم **الوعد بأن تتبارك الأمم كلّها بإبراهيم وبنسله** (تك ١٢: ٣؛ ٢٢: ١٩).

– **العهد مع موسى** (تث ١١) فكان **مشروطاً**؛

فهو إمّا يجلب **بركة الله** نتيجة للطاعة،

وإمّا **لعنة الله** على شعب إسرائيل بسبب المعصية.

يتضمّن هذا العهد وصايا الله العشر (خر ٢٠) **وباقي الناموس**، الذي يضمّ ما يزيد على ٦٠٠ وصيّة – نصفها إيجابيّ، ونصفها الآخَر سلبيّ.

تفصّل الأسفار التاريخيّة، أي من سفر يشوع وحتّى سفر إستير، كيف نجح بنو إسرائيل في طاعة وصايا الله وأوامره، أو كيف فشلوا عندما تصرّفوا عكس ذلك، فجلبوا على نفسهم إمّا **البركة**، وإمّا **اللعنة** (رج تث ١١: ٢٦٢٨).

– **العهد مع داود** (٢ صم ٧: ٨–١٦) يوضح موضوع **"النسل"** الذي يجري الكلام عليه في **العهد مع إبراهيم**. إن الوعود المعطاة لداود هنا هي هامّة جدًّا، إذ يعد الله:

بأن يبقى نسل داود إلى الأبد،

وبألاّ تندثر مملكته إلى الأبد (٢ صم ٧: ١٦) بالربّ يسوع (رج لو ١: ٣٢–٣٣).

– **العهد الجديد** (إر ٣١: ٣١–٣٤) **قُطِعَ أوّلاً مع شعب إسرائيل، ثم مع البشريّة كلّها**. في هذا العهد يعد الله بما يلي:

أن يغفر الخطايا،

وأن تنتشر معرفة الله في العالم كلّه.

جاء **يسوع** المسيح ليكمّل ناموس موسى (مت ٥: ١٧)، **فخلق عهدًا جديدًا بين الله وشعبه**. لقد أصبحت الفرصة متاحةً الآن لقبول الخلاص كهبة مجّانيّة (أف ٢: ٨–٩).

– **بالنسبة إلى المسيحيّين**، إذا كانت المسيحيّة قد وُلِدَتْ من حشا الشعب اليهوديّ، فذلك لكي تكون مفتوحةً على موقف شموليّ من موضوع الخلاص؛ بالتأكيد، إنّ للشعب المختار دورَه في العالم غير اليهوديّ؛ وبفضل انتشار العهد في التاريخ البيبليّ وفي

شهادة الشعب العبريّ بالذات له، أفَلا يكون هذا العهدُ هادفًا إلى فيضِ وفرةٍ إلهيّةٍ في آنٍ معًا لليهود كما لغيرهم، أي لجميع البشر؟ إسرائيل هو "الابن البكر"، كما قالَ الرَّبُّ لموسى: "وتَقولُ لفرعون: إسرائيل هو ابني البِكْر"[٤]؛ وهو أيضًا "البواكير": "كانَ إسرائيلُ قُدسًا للرّبّ وباكورةَ غلّتِه"[٥]، ممّا يعني أنّ هناك آخَرين من بعده.

لاحقًا سيقول يسوع للمرأة السامريّة: "الخلاص يأتي من اليهود، لكنّ ساعة تأتي، وها هي حاضرة، حيث العابدون الحقيقيّون يعبدون الآب بالروح والحقّ"[٦]. لقد أراد يسوع أن يتمّم بالروح حرفَ التوراة، أي الشريعة اليهوديّة المدوَّنَة في الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدّس؛ لذلك قال: "أنا لم آتِ لأُبطل الشريعة أو الأنبياء؛ لم آتِ لأُبطل بل لأتمّم"[٧].

يمتدّ العهد البيبليّ ذاته من إبراهيم إلى يسوع، ويتوسّع ليشمل الأمم كلّها. هذا الانفتاح كان قد تمّ الإعلان عنه في العهد القديم المشترك بين اليهود والمسيحيّين، كما يعبّر عن ذلك مز ٨٦: ٩: "كلّ الأمم التي خَلَقْتَها ستأتي لتعبدَكَ وتمجّدَ اسمَكَ"[٨]. وفي هذا السياق يعلن مز ٨٧: ٥ ما يلي: "أمّا صهيون فيُقال فيها: كُلُّ إنسان وُلِد فيها، والعليُّ هو الذي ثبّتها". كذلك هو الحال في الإنجيل الذي تتجلّى فيه الشموليّة بأقوى وأبهى ما يكون؛ فلقد ذهب يسوع إلى أرض الوثنيّين، إلى ديكابّوليس، أي المدن العشر[٩]، وإلى صور وصيدون[١٠]، وإلى قيصريّة فيليبّس، أي إلى بانياس حيث كانت هناك عبادة للإله "بَان" (Pan)[١١]، وإلى السامرة[١٢] حيث عُومِل كسامريّ بطريقة مسيئة[١٣]، ومع هذا فقد أجرى هناك معجزات شفاء. بهذا كلّه وبغيره نتبيّن بوضوح وجلاء أنّ يسوع جاء من أجل الناس أجمعين[١٤].

١/ب – انتشار العهد

إنّ الله هو دومًا صاحب المبادرة تجاه بني إسرائيل، كما تجاه البشريّة ككلّ؛ فلقد اختار شعبًا، هو الشعب العبريّ، لكي يبتّ معه، هو إله بني إسرائيل وإله المسيحيّين، عهدًا محدَّدًا، يشكّل آخِرَ الأمر نظامَ حياةٍ معه. يشمل العهدُ البشريّةَ بأسرها وتاريخَها كلَّه، من خلال ظروف يجري فيها إعلانُه في وقائع محدَّدة، في عهد واحد أبديّ، وهو قصدٌ غالٍ على قلب الله، وتصميم واضح المعالم والمرامي تجاه الناس أجمعين.

بالنسبة إلى المسيحيّين هناك في هذا المجال مرحلتان رئيسيّتان نتبيّنهما من خلال أحداث استثنائيّة:

(٤) خر ٤: ٢٢.
(٥) إر ٢: ٣.
(٦) يو ٤: ٢٢–٢٤.
(٧) مت ٥: ١٧.
(٨) أنظر أيضًا: مز ٢٢: ٢٨؛ ٤٥: ١٨؛ ٤٧: ٢، ١٠؛ ٦٦: ٨؛ ٦٧: ٣–٦؛ ٧٢: ١١؛ ٨٧: ٤–٧؛ ٩٧: ٦؛ ١٠٢: ١٦، ٢٣؛ ١١٧: ١؛ ١٤٨: ١١–١٣؛ تث ٣٣: ١٩؛ ١ مل ٨: ٤٣، ٦٠؛ عا ٩: ١٢؛ أش ٢: ٢–٤؛ ١٩: ٢١–٢٥؛ ٤٢: ٤، ٦؛ ٤٥: ١٤–١٧، ٢٠–٢٥؛ ٤٩: ٦؛ ٥٦: ٧؛ ٦٠: ١–١٦؛ ٦٥: ١؛ ٦٦: ١٨–٢٤؛ إر ٣: ١٧؛ ٤: ٢، ١٦؛ ١٦: ١٩؛ ٣١: ١٠؛ حز ٢٠: ٤١؛ ٢٨: ٢٥؛ ٣٨: ٢٣؛ يؤ ٤: ٢؛ يون؛ مي ٤: ١–٣؛ صف ٣: ٩؛ زك ٢: ١٥؛ ٨: ٢٢–٢٣؛ ٩: ٦–٧؛ ١٤: ٩، ١٦؛ طو ١٤: ٦؛ حك ١٨: ٤؛ أم ٨: ٣١.
(٩) مر ٥: ١–٢٠؛ ٧: ٣١–٣٧.
(١٠) مت ١٥: ٢١–٢٨.
(١١) مت ١٦: ١٣–٢٠.
(١٢) لو ٩: ٥١–٥٦؛ يو ٤.
(١٣) يو ٨: ٤٨.
(١٤) مت ٢٨: ١٩؛ مر ١٦: ١٥؛ لو ٢٤: ٤٧؛ يو ١: ٤؛ ٤: ١٤، ٣٩–٤٢؛ ١٧: ٢٠–٢٣؛ أع ٨: ٥–٢٥.

– من جهة أُولى، إبراهيم ثمّ الخروج؛

– من جهة ثانية، موت المسيح وقيامته.

لقد تمّ عيش هذه الأحداث، ثمّ أُعيدتْ قراءتُها، فأعطت العهدَ القديم بالنسبة إلى اليهود، والعهدَ الجديد، الذي أبصر النور في تربةٍ يهوديّة، بالنسبة إلى المسيحيّين.

النقطة العقائديّة في الأمر هي **انتشار العهد البيبليّ في التاريخ**؛ فَلَدَى الله تصميم، هو خارج المعايير البشريّة، بأن يعطي ذاته للإنسان دون الذوبان فيه، إذ إنّ الذوبان هو عنفٌ يُنكِرُ الآخَر، ويتملّكه، ممّا يعني أنّه لا يحبّه. لذا فإنّ علاقة الله بالإنسان هي علاقة محبّةٍ حقيقيّة، لأنّ الله المتسامي هو ذاتُه أيضًا محبّة[١٥].

يشهد توحيديّو العهد البيبليّ، يهودًا كانوا أم مسيحيّين، وكلٌّ على طريقته، أنّ المسافة العلائقيّة لا تهدف إلى الإبعاد بل إلى إفساح المجال للمحبّة: "إذ قد صِرتَ كريمًا في عَينَيّ ومجيدًا، فإنّي أَحبَبتُكَ"[١٦]. بالمقابل، يأمر الله قائلاً: "أحبِبِ الربَّ إلهَكَ"[١٧]، "وقريبك كنفسك"[١٨]؛ هذا ما يعلّمه يسوع أيضًا، وعلى خطى العهد القديم[١٩]. بعمله هذا هو يُظهِر القُرْبَ بين الله والإنسان في عهد الحبّ الذي سيتمّه بموته وقيامته:

"هذا هو دمي، دم العهد، الذي سيُهرَق عن كثيرين لمغفرة الخطايا"[٢٠].

في عهد الله مع الإنسان يبقى هذا وذاك مختلفَين؛ فالله يهب علاقةَ محبّةٍ تتقدّم وتتواصل عبر الزمان؛ يدخل في تاريخ البشر، ويأخذ على عاتقه، وبالاشتراك معهم، الأمرَ الذي لا يمكن تَصَوُّرُه من وجهة نظر بشريّة. هو الله مَن يأخذ، بكلمته وبأفعاله، المبادرةَ بأن يكون رفيقَ الدربِ مع شعبه على مَدِّ الزمان.

وتمثّل دعوة إبراهيم بدايةَ تاريخ الخلاص، إذ كلّمه الله[٢١] قائلاً: "أترك أرضك..."[٢٢]، دون أن يعرف إلى أين: "بالإيمانِ لَبَّى إبراهيمُ الدَّعوةَ، فخَرَجَ إلى بَلَدٍ قُدِّرَ لَه أن يَنالَه ميراثًا، خَرَجَ وهو لا يَدري إلى أَينَ يَتَوجَّه" (عب ١١: ٨)؛ لم يكن هذا ليس تراجعًا تكتيكيًّا موقّتًا، كما هجرة محمّد. يأتي بعد ذلك الوعد الذي أعطاه الله لأبرام[٢٣]، والعهد الذي بتّه معه[٢٤]، والذي أكّده وثبّته إيقاف ذبح إسحق[٢٥]. ولكون أبرام مُؤتَمَنًا على الوعد، صار اسمه "إبراهيم"[٢٦]. لاحقًا تعزّز العهدُ وتقوّى مع موسى[٢٧].

على يد الأنبياء كوّن الله شعبه، بالرغم من كون هذا الأخير شعبًا حَرُونًا ومتمرّدًا: "لقد غلّظوا رقابَهم

(١٥) رج ١ يو ٤: ١٦.

(١٦) حرفيًّا: "أنت تعني الكثير بالنسبة إليّ، أنتَ ثمين، وأنا أحبّك" (أش ٤٣: ٤أ).

(١٧) تث ٦: ٥.

(١٨) لا ١٩: ١٨.

(١٩) مت ٢٢: ٣٧–٣٩.

(٢٠) مت ٢٦: ٢٨.

(٢١) رج أع ٧: ٢–٤.

(٢٢) رج تك ١٢: ١.

(٢٣) "وأنا أَجعَلُكَ أُمَّةً كبيرة، وأُبارِكُكَ، وأُعظِّمُ اسمَكَ، وتَكُونُ بَرَكَة" (تك ١٢: ٢؛ أنظر أيضًا الفصل ١٥).

(٢٤) تك ١٧.

(٢٥) تك ٢٢.

(٢٦) "ولا يَكونُ اَسمُكَ أَبْرامَ بَعدَ اليوم، بل يَكون اسمُكَ إبراهيم، لأَنّي جَعَلتُكَ أَبَا عَدَدٍ كبيرٍ مِنَ الأُمَم" (تك ١٧: ٥).

(٢٧) خر ١٩–٣٤.

برفضهم الإصغاء إلى أقوالي"[٢٨].

يبقى الله، وبشكل ثابت وبإصرارٍ، أمينًا لوعوده ولعهده، بالرغم من المظاهر المعاكسة، كالسبي إلى بابل وتدمير الهيكل في القرن السادس ق. م.، الخ. إنّ تأكيدَه، "أنا أكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا"[٢٩]، هو الإعلانُ النموذجيُّ للعهد[٣٠]. إنّه التاريخ المقدّس للخلاص؛ يهب الله إلهامَه لشعبه ولو كان غيرَ أمينٍ في غالب الأحيان، وبإمكان سائر الشعوب أن تتبيّن ذاتها في هذا الشعب الذي هو رمز البشريّة[٣١]. ولكن، بالمسيح الذي أُعلِنَ لداود[٣٢] سيتوسّع التيّار المسيحانيّ؛ فاليهود الذين سيتبعون يسوع سيرَون فيه المسيح الذي، مع هذا، سيبدو محيِّرًا، إذ إنّه لا يتطابق مع الفكرة التي كُوِّنَت عنه، كما نتبيّن من سؤال الرسل الذي وجّهوه إلى يسوعَ قُبَيل صعوده قائلين: "يا ربّ، أفي هذا الزمان تُعيدُ المُلْكَ إلى إسرائيل؟"[٣٣]. لقد رفض يسوعُ هذا الطريق الزمنيّ. لقد واصل الشعب اليهوديّ من بعده تغذيةَ رجائه بمسيح زمنيّ؛ فَرَابّي عقيبا[٣٤] سيعتبر شمعونَ بَرْكُوخْبَا بمثابة "مسيح"؛ ونذكّر هنا بأنّ بَرْكُوخبَا كان قائدَ الثورة اليهوديّة الكبيرة ضدّ الرومان الذين قضوا عليه سنة ١٣٥ ب. م.

ليست اليهوديّة والمسيحيّة وحدهما فقط في التاريخ بل هما ديانتَا التاريخ. من خلال العهد وبواسطته يتعاون الله والإنسان في التاريخ الحقيقيّ، الذي له أَدِلَّةٌ على ذلك؛ بالإمكان الكلام هنا على "تاريخ مقدّس" لأنّه تاريخ الاثنين: الله والإنسان. يُظهر الله ذاتَه، يكشف عن ذاته، كما تعلن ذلك البركةُ الشهيرة: "يُضِيء الربُّ بوجهه عليك ويرحمك، ويرفع الربُّ وجهَه نحوكَ، ويمنحُك السلام"[٣٥]. يعيش التيّار النبويّ للعهد البيبليّ من ديناميكيّة بشريّة–إلهيّة، ثمرتُها هي شعب الله المختار، الذي يسعى إلى أن يكون أمينًا للعهد؛ لقد بلغ يسوع بالعهد إلى نهايته، وتسعى الكنيسة إلى أن تبقى أمينةً لهذا العهد.

إنّ ديناميكيّة العهد البشريّة–الإلهيّة هي ديناميكيّة التجسّد؛ ففي قلب شعب الله المختار تتركّز العلاقة بين الله والإنسان، علاقةٌ تجسّدت بالفعل، طوال قرون متعاقبة من العهد، على المسيح الذي هو في آنٍ معًا إنسان كامل وإله إنسان. ويؤمن المسيحيّون أنّ المسيح هو العهد المشخصَن والمجسَّد، وأنّه تتميم العهد، ومحور التاريخ البشريّ.

في الإسلام لا يوجد شعب مختار، لأنّه لا يوجد عهد.

هذا بالإيجاز العهد البيبليّ. لنرَ الآن العهد القرآنيّ.

٢ – العهد القرآنيّ

"وأَوْفُوا بعهدِ اللهِ إذا عاهَدْتُم، ولا تنقُضُوا الأَيمانَ بعدَ توكيدِها"[٣٦].

(٢٨) إر ١٩: ١٥. رج خر ٣٢: ٩؛ تث ٩: ٦؛ ٣١: ٢٧؛ ٢ مل ١٧: ١٤ي؛ إر ٧: ٢٦؛ ١٧: ٢٣؛ با ٢: ٣٠. أنظر أيضًا موضوع "الشعب المتمرّد" في عد ٢٠: ٢٤؛ ٢٧: ١٤؛ تث ١: ٢٦؛ ٩: ٧، ٢٣، ٢٤؛ أش ٦٥: ٢؛ إر ٣: ١٤، ٢٢؛ ٥: ٢٣؛ حز ٢: ٣، ٨؛ نحميا ٩: ٢٦، ٢٩.

(٢٩) إر ٣١: ٣٣.

(٣٠) رج إر ٧: ٢٣؛ ٢٤: ٧؛ ٣٠: ٢٢؛ ٣١: ٣٣؛ ٣٢: ٣٨؛ حز ١١: ٢٠؛ ١٤: ١١؛ ٣٦: ٢٨؛ ٣٧: ٢٣، ٢٧؛ با ٢: ٣٥؛ زك ٨: ٨.

(٣١) رج تك ٤٩: ١٠؛ أش ٧: ١٤؛ حج ٢: ٢٣.

(٣٢) ٢ صم ٧: ٨–١٧.

(٣٣) أع ١: ٦.

(٣٤) هو **عقيبا بن يوسف**، ورد اسمه في التلمود الفلسطينيّ، عاش في القرنين الأوّل والثاني ب. م.

(٣٥) عد ٦: ٢٥–٢٧؛ رج أيضًا خر ٢٤: ١–١١.

(٣٦) **سورة النحل** ١٦: ٩١.

لقد التزمَ رسولُ المسلمين والإسلامُ الوفاءَ بالعهد طاعةً لهذه الوصيّة وتحقيقًا لها[٣٧]، عالمين يقينًا بأنّ الذين ينقضون العهد "هُمُ الخاسرون"[٣٨]. ولقد بلغ الأمر بالرسول إلى حدِّ نفي الدِّين عَمَّنْ لا عهدَ له إذ أعلن قائلاً: "لا دِينَ لمن لا عَهدَ له"[٣٩].

هكذا يصبح نقضُ العهدِ أمرًا محرَّمًا قَطْعًا، لأنّه لا يجوز لمؤمن أن يعاهد ثمّ يغدر، ولأنّ مَن يظلم معاهدًا يكون "الله حجيجَه يوم القيامة"[٤٠].

الكتاب المقدّس هو ثمرة العهد بين الله والإنسان، أمّا القرآن فَمِن السماء نزل، بالتالي هو ليس ثمرة عهد بين الله والإنسان!

على خلاف القرآن، الذي نزل من السماء، من "الكتاب الأمّ"، لم ينزل الكتاب المقدّس من السماء، بل هو ثمرة العهد الإلهيّة–الإنسانيّة، وقد قَرَأَتْهُ الكنيسةُ منذ بدايتها في ليتورجيّاتها كافّة، وتبيّنتْ فيه أنّ الله يثمّر ذاته، إن جاز التعبير، لأجل شعبه ولأجل البشريّة بأسرها، كاشفًا ذاته شيئًا فشيئًا عبر الأجيال المتعاقبة بانسجام عقائديّ واضح المعالم.

إنّ التناسق البيبليّ هو مميّز وفريد بالمقارنة مع الديانات الأخرى، بما فيها الإسلام؛ هذا لا يعني إطلاقًا أنّنا عاجزون عن أن نفعل شيئًا مع بعضنا البعض؛ وما يمكن عمله ينبغي القيام به مع احترام الفروقات الأساسيّة التي تشكّل هويّاتنا.

٢/أ – الميثاق في القرآن

ينبغي الأخذ بعين الاعتبار المفهوم القرآنيّ الخاصّ لعبارة "ميثاق ما قبل الأزل"، لأنّ هذا المفهوم هو جوهريّ. وبحسب الإسلام، هو "ميثاق منحه الله للنسل الآدَميّ قبل الأزل"[٤١].

القرآن هو قليل الدقّة في هذا السياق: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا"[٤٢]؛ وأيضًا: "أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ"[٤٣]؛ وكأنّه كان هناك خليقة أولى، خليقة أوّليّة، خَلَقَ اللهُ بَعْدَها من جانب واحد ميثاقًا أصليًّا مع البشريّة في آدم أوّل. كان هذا الميثاق بمثابة أمر تاريخيّ، لكنْ شيئًا فشيئًا تولّد ميلٌ إلى إغراقه في الانفعالات الميتافيزيقيّة؛ لذا فإنّ الوعيَ الدينيّ الإسلاميّ هو مركّز، ليس على واقع من التاريخ، بل على واقع هو فوق التاريخ، أي ليس ما بعد التاريخ، بل عابر للتاريخ.

٢/ب – الأمانة للميثاق

تندّد الآية الشهيرة، التي تتكلّم على الأمانة للميثاق، بانتفاء هذه الأمانة: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً"[٤٤]. هذا الإسلام يريد أن يكون ديانة بدايات البشريّة، والخليقةَ الأوّليّة

(٣٧) "العهد"، في: جوزف قزّي، **هذا هو الإسلام**، دار لأجل المعرفة، ديار عقل، لبنان ٢٠٠٧، ص ٨٦٢.

(٣٨) **سورة البقرة** ٢: ٢٧.

(٣٩) أخرجه أحمد ٣: ١٣٥، من حديث أنس بن مالك.

(٤٠) أخرجه أبو داود ٤: ٣٥٨، من حديث عائشة.

(41) Louis Gardet et Georges Anawati, *Introduction à la théologie musulmane*, Vrin, 1970, p. 397.

(٤٢) **سورة الأعراف** ٧: ١٧١.

(٤٣) **سورة الأعراف** ٧: ١٧٢؛ ر ج **سورة المائدة** ٥: ٧.

(٤٤) نقل حرفيّ: "اقترحنا الأمانة على السماوات، وعلى الأرض، وعلى الجبال، لكنّها أَبَتْ أن تتكفّل بها، وخافت منها. وتكفّل بها الإنسان، لكنّه كان غيرَ عادلٍ وجاهلاً جدًّا" (**سورة الأحزاب** ٣٣: ٧١).

عند "الميثاق السابق للأزل". هكذا يكون الإسلام "الديانةَ الأوّليّة"، الوحيَ الأوّل المطابقَ **للكتاب–الأمّ** الذي لا يشكّل الأنبياء والقرآن سوى أناس "يذكّرون" به. والقرآن بالتالي يخبر عن هذا الحدث، حدث **"الميثاق" الأوّلانيّ بين الله والبشريّة**.

واستنادًا إلى التقليد، قد يكون الميثاق الأصليّ محفورًا على الحجر الأسوَد الموضوع في زاوية من هيكل الكعبة المكعب في مكّة[٤٥].

لقد قلّل المعتزلةُ العقلانيّو التوجّه من وهج الميثاق الأوّلانيّ فاعتبروه أسطوريًّا أو رمزيًّا، بينما اعترف به الصوفيّون الروحانيّون[٤٦]؛ ففي ردٍّ على **مدرسة السلف الصالح التي قالت بأزليّة حرف القرآن**، أنكر **المعتزلة**[٤٧] **أزليّة القرآن**، ومثلهم فعل **الأشاعرة**[٤٨]، وقالوا بخَلْقِه من النقل ومن العقل، مؤكّدين أنّ كلام الله مخلوق من جملة المخلوقات، وهو مخلوق منفصل عن الله، مستشهدين لذلك بقول الله: "وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ"[٤٩]؛ وفسّروا قول الله، "الربِ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ"[٥٠]، بأنّ ما صادفه فعل بعد فعل يكون محدَثًا؛ ثمّ أعملوا عقلهم فقالوا: إنّ القرآن مركّب من حروف وكلمات، والمركَّب محدَث! وفي نظرهم إنّ المقولة بأزليّة القرآن تحمل تناقضًا في ذاتها، فهي القول بقديمَين: الله والقرآن، لأنّه إمّا أن يكون القرآن ذاتَ الله أو غيرَ ذاته؛ فإن كان القرآن، كلامُ الله، ذاتَ الله، فهل يصحّ أن يكون من ذات الله ما ورد فيه من أعمال مخلوقة، وأحداث بشريّة؟ وإن كان القرآن، كلام الله، غيرَ ذاته، فالقول بأزليّته هو القول بقديمَين، وهذا هو الكفر بعينه"[٥١].

إنّ الخليقة، وآدم الأوّلانيّ، والطبيعة الفطريّة، والديانة، والوحي، والعقيدة، والشريعة، هي كلّها "أوّلانيّة" ومرتبطة بالميثاق الذي يختلف جوهريًّا وكلّيًّا عن العهد البيبليّ. إنّ مفاهيم العهد، من جهة، ومفاهيم القرآن والإسلام، من جهة ثانية، هي غريبة الواحدة عن الأخرى.

لا يقول **الأشاعرة بخلق القرآن**؛ والمعروف أنّ الذين يقولون **بخلق القرآن** هم الجهميّة[٥٢] والمعتزلة.

٢/ج – المواثيق القرآنيّة الأخرى

قد يتعجّب البعض من الجَزْم بأنْ لا عهدَ بيبليًّا في القرآن، عندما يجري الكلام على الميثاق الأوّلانيّ،

(45) Cf. Louis Gardet, *L'islam : religion et communauté*, DDB, 1970, p. 129.

(٤٦) بدأ ظهور الصوفيّين والصوفيّة منذ القرنَين ٨–٩ م كردّ فعل على البذخ والترف وتدنّي القيم الحسنة التي انتشرت في المجتمع الإسلاميّ. يدعو الصوفيّون إلى الزهد والورع والتوبة والرضا، ويعتقدون أنّ الصلاة والصوم والحجّ والزكاة عبادات العوام، وأمّا هم فيسمّون أنفسهم الخاصّة، ولذلك فعباداتهم مخصوصة وإن تشابهت ظاهرًا.

(٤٧) أتى قول المعتزلة بأنّ القرآن مخلوق وليس أبديًّا تطبيقًا عمليًّا لاعتماد العقل في تفسير الشريعة الإسلاميّة، واستندوا على نصوص دينيّة لدعم حجّتهم، منطلقين، في هذا المجال، من مسألة صفات الله؛ فبعد أن قرّروا وحدة الذات الإلهيّة وصفاتها، وقرّروا نفي الصفات الزائدة عن الذات، تحوّلوا إلى النظر في ما ورد من هذه الصفات داخل النصوص الدينيّة عبر إخضاعها إلى التأويل العقليّ.

(٤٨) "الأشاعرة" فرقة كلاميّة إسلاميّة، تنسب لأبي الحسن الأشعريّ الذي خرج على المعتزلة؛ وقد اتخذت البراهين والدلائل العقليّة والكلاميّة وسيلة في محاججة خصومها.

(٤٩) **سورة الشعراء** ٥.

(٥٠) **سورة هود** ١.

(51) Cf. alkalema.net/mo3gezat/mo3gezat38.htm

(٥٢) هي فرقة إسلاميّة، ظهرت في الربع الأول من القرن الهجريّ الثاني، على يد مؤسّسها الجهم بن صفوان الترمذيّ. وافقهم **المعتزلة** في نفيهم بعض صفات الله الأزليّة، وتأويلهم للصفات التي تشعر بالتشبيه، وقولهم بأنّ القرآن مخلوق.

وهذا صحيح لأنّ مضمون العهد البيبليّ شيء، ومضمون الميثاق القرآنيّ شيء آخر. لكن هناك نماذج أخرى من المواثيق مع الله في القرآن، يُعَبَّر عنها بما يقارب الاثني عشر مصطلحًا مختلفًا تَرِدُ حوالى ١٢٥ مرّة في القرآن، وهي التالية:

(أ) مواثيق ليس الله شريكًا فيها:

– "**إيلاف**"، اتّفاق بين الناس: "**إِيلَافِ** قُرَيْشٍ **إِيلَافِهِمْ** رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ"[٥٣].

– "**إلّ**"، هدنة سياسيّة: "اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ؛ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ **إِلًّا** وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ. فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[٥٤].

– "**عَقْد**": "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ"[٥٥].

– "**ذِمَّة**": اتفاقيّة حماية: "كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا **ذِمَّةً** يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ. لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا **ذِمَّةً** وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ"[٥٦].

– "**ميثاق**"، التزام: "وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم **مِّيثَاقًا** غَلِيظًا"[٥٧].

– "**عهد**": "وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ **عَهْدِهِمْ** وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ"[٥٨].

– "**حَبْل**"، رباط: "ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا **بِحَبْلٍ** مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ"[٥٩].

– "**أَيْمان**" (٤٧ مرّة)، قسَم أو يمين: "إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ **وَأَيْمَانِهِمْ** ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ". (٣: ٧٧).

(ب) مواثيق مع الله أو مِنْ قِبَلِه:

***ميثاق**: التزام

– ما قبل الأزل: "الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ **مِيثَاقِهِ** وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"[٦٠]؛ "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ"[٦١].

– مع الأنبياء: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ **مِيثَاقَ** النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا

(٥٣) سورة قريش مكّة ١٠٦: ١–٢.
(٥٤) سورة التوبة ٩: ٨، ١٠.
(٥٥) سورة المائدة ٥: ١.
(٥٦) سورة التوبة (٩: ٨، ١٠)
(٥٧) سورة النساء ٤: ٢١؛ أنظر أيضًا ٤: ٩٠، ٩٢؛ ٨: ٧٢؛ ١٢: ٦٦، ٨٠.
(٥٨) سورة التوبة ٩: ١٢؛ أنظر أيضًا ١٧: ٣٤؛ ١٩: ٧٨.
(٥٩) سورة آل عمران ٣: ١١٢.
(٦٠) سورة البقرة ٢: ٢٧.
(٦١) سورة الأعراف ٧: ١٧٢.

مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ"[٦٢]؛ "وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ **مِيثَاقَهُمْ** وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا"[٦٣].

– مع المسلمين الذين هم إلى حدٍّ ما أمناء: "وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ **وَمِيثَاقَهُ** الَّذِي **وَاثَقَكُم** بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"[٦٤].

– مع "أهل الكتاب" اليهود: "وَإِذْ أَخَذْنَا **مِيثَاقَكُمْ** وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[٦٥]؛ والمسيحيّين: "وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا **مِيثَاقَهُمْ** فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ"[٦٦].

*** عهد:**

– ما قبل الأزل: "الَّذِينَ يَنقُضُونَ **عَهْدَ** اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"[٦٧].

– مع الأنبياء: " وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ **عَهْدِي** الظَّالِمِينَ. وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى **وَعَهِدْنَا** إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"[٦٨].

– مع المسلمين: "إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ **بِعَهْدِ** اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[٦٩].

– مع "أهل الكتاب" اليهود: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا **بِعَهْدِي** أُوفِ **بِعَهْدِكُمْ** وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ"[٧٠].

***وَعْد:**

– مع موسى النبيّ: "وَإِذْ **وَاعَدْنَا** مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ"[٧١].

– مع المسلمين: "وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا **وَعْدَ** اللّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً"[٧٢].

(٦٢) سورة آل عمران ٣: ٨١.

(٦٣) سورة الأحزاب ٣٣: ٧.

(٦٤) سورة المائدة ٥: ٧؛ أنظر أيضًا سورة الرعد ١٣: ٢٠، ٢٥؛ سورة الحديد ٥٧: ٨.

(٦٥) سورة البقرة ٢: ٦٣؛ أنظر أيضًا سورة البقرة ٢: ٨٣، ٨٤، ٩٣؛ سورة آل عمران ٣: ١٨٧؛ سورة النساء ٤: ١٥٤–١٥٥؛ سورة المائدة ٥: ١٢، ١٣، ٧٠؛ سورة الأعراف ٧: ١٦٩.

(٦٦) سورة المائدة ٥: ١٤.

(٦٧) سورة البقرة ٢: ٢٧؛ أنظر أيضًا ٢٠: ١١٥.

(٦٨) سورة البقرة ٢: ١٢٤–١٢٥؛ أنظر أيضًا ٧: ١٣٤؛ ٤٣: ٤٩؟

(٦٩) سورة آل عمران ٣: ٧٧؛ أنظر أيضًا ٦: ١٥٢؛ ٨: ٥٦؛ ٩: ٧٥، ١١١؛ ١٣: ٢٠، ٢٥؛ ١٦: ٩٥؛ ١٩: ٨٧؛ ٣٣: ١٥، ٢٣.

(٧٠) سورة البقرة ٢: ٣٩؛ أنظر أيضًا ٢: ٧٩، ٩٩؛ سورة آل عمران ٣: ١٨٢؛ سورة طه ٢٠: ٨٦.

(٧١) سورة البقرة ٢: ٥٠؛ أنظر أيضًا سورة الأعراف ٧: ١٤٢: "وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ".

(٧٢) سورة النساء ٤: ١٢٢؛ أنظر أيضًا سورة التوبة ٩: ١١١: "إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ".

– مع "أهل الكتاب" اليهود: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ **وَوَاعَدْنَاكُمْ** جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى"[٧٣].

– مع شعب نموذج: "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا **الْوَعْدُ** إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"[٧٤].

***حَبْل**: رباط يجمع ويضمّ:

– مع المسلمين: "وَاعْتَصِمُواْ **بِحَبْلِ** اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ "[٧٥].

– مع "أهل الكتاب": "ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ **بِحَبْلٍ** مِّنْ اللّهِ **وَحَبْلٍ** مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ"[٧٦].

***قَسَم**: هو قَسَمٌ كونيّ من الله للبشر: " وَإِنَّهُ **لَقَسَمٌ** لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ"[٧٧].

***إِصْر**[٧٨]: رباطُ (قرابة) مع الأنبياء: "وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ **إِصْرِي** قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ"[٧٩].

نشير في ختام هذا العرْض إلى أنّ مفردات المواثيق القرآنيّة هي غير جامدة لأنّ كلمةً ما منها يمكن أن تأخذ معاني مختلفة؛ فالمفردات "ميثاق"، و"عهد"، و"حَبْل"، قد تتعلّق بمواثيق بين الناس، كما أيضًا مع الله. ويبدو كذلك أنّ هناك معادلات في النصّ البيبليّ ذاته، كما بين "ميثاق" و"عهد"[٨٠]، بين "ميثاق" و"إصْر"[٨١]؛ مع ذلك، نرى أنّ هناك هيمنةً واضحة لكلمتَي "عهد" و"ميثاق"، كما للتوافق بين موضوعاتهما.

ماذا نستنتج؟

أبعد من الجانب اللغويّ التقنيّ، يُلاحَظ أنّ **هذه المواثيق هو الله مَن قرّرها** بشكل أحاديّ؛ **لا علاقة لها** بتصميم عهدٍ تصاعديّ وتقدّميّ مع البشر كلّهم، **عهدٍ يقود فيه الله التاريخَ**، ويهب ذاتَه لهم من أجل أن يخلّصهم، وهذا **منظور غريب وبعيد عن المنظور القرآنيّ الإسلاميّ** الذي ينظر إلى العلاقات بين الله والبشر وكأنّها نوع من ميثاق بُتَّ بين شريكَين، أحدهم سيّد أعلى والآخَر أدنى منه وتابع له. لا يمكن أن تكون النتائج على المستوَيَين الشخصيّ والجماعيّ إلاّ متباينة بشكل جذريّ، إنْ على الصعيدَين الثقافيّ والعباديّ، وإنْ على صعيدَي الحضارة والتاريخ.

(٧٣) **سورة طه** ٢٠: ٨٠؛ أنظر أيضًا ٢٠: ٨٦: "فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي".

(٧٤) سورة يس ٣٦: ٤٨. أنظر أيضًا سورة يس ٣٦: ٥٢: "قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ".

(٧٥) **سورة آل عمران** ٣: ١٠٣.

(٧٦) **سورة آل عمران** ٣: ١١٢.

(٧٧) **سورة الواقعة** ٥٦: ٧٦؛ أنظر أيضًا **سورة الفجر** ٨٩: ٥: "هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ".

(٧٨) "إصر"، في **قاموس المعاني**: "إصْر "،جمع "آصارٌ": عهد وميثاق ثقيل مؤكّد؛ ذنْب، حمل ثقيل: "وَإِذَا أَسَاءَ فَعَلَيْهِ الإِصْرُ وَعَلَيْكُمْ الصَّبرُ" [حديث]؛ "رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا": شدّة العمل وثقله .

(٧٩) **سورة آل عمران** ٣: ٨١.

(٨٠) "الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" (**سورة البقرة** ٢: ٢٧)؛ أنظر أيضًا **سورة الرعد** ١٣: ٢٠: "الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ".

إنّ هذه المواثيق مع الأنبياء، والمسلمين، واليهود، والمسيحيّين، ومع شعب نموذج، والمواثيق الكونيّة ذات الأنماط المتكرّرة، هي دون تأثير أساسيّ، لأنّها، في الواقع، وباستثناء "الميثاق السابق للأزل"، ليست سوى دعم إلهيّ بسيط و"تذكيرات" بما هو أساسيّ، أي بالالتزام السابق للأزل. حتّى ذكر العهد مع موسى وبني إسرائيل في سيناء، الحاضر في القرآن كميثاق، خاصّة من خلال حادثة العجل الذهبيّ المكرَّرة مرّات عدّة، لا يُنظَر إليه كجزء من العهد البيبليّ الأصليّ، بل يتحوّل إلى ميثاق بين المواثيق الأخرى[٨٢]، ويُظهر شريعة التاريخ القرآنيّة.

لا يُفسح الوحيُ القرآنيّ أيَّ مكانٍ للعهد المسيحانيّ الذي هو بادرة الأحداث الإسكاتولوجيّة؛ بالتالي، **ما لا يُعْتَرَف به هو الرابط الجوهريّ بين العهد الموسويّ والعهد الداوديّ؛ فالقرآن لا يتضمّن شيئًا يمكن مقارنته مع العهد البيبليّ** من خلال تاريخ الشعب العبريّ، **الذي ينكره القرآن والإسلام،** وصولاً إلى **المسيح الذي يقوم دوره على فتح هذا العهد على سائر البشر، الأمر الذي ينكره القرآن والإسلام أيضًا**. لدينا في **سورة البقرة ٢ : ٨٣** كلامًا على العهد مع بني إسرائيل، حيث نقرأ ما يلي: "صَنَعْنا عهدًا مع بني إسرائيل"، ولكنّ باقي هذه الآية يبيّن بوضوح أنّ **هذا العهد ليس ذاك الذي يتكلّم عليه الكتاب المقدّس.**

لقد التزم محمّدُ الوفاءَ بالعهد، وأوجب الإسلامُ الأمرَ ذاته، لكنّ أسسَ العهد البيبليّ ومضامينه هي غير أسس الميثاق القرآنيّ ومضامينه.

يبقى العهد في الكتاب المقدّس موضوعًا أساسيًّا ومحوريًّا؛ فهو ذاك التحالف الذي عقده الله مع البشر، آخذًا على نفسه أن يمنحهم البركات والنعم، لقاء أمانتهم له وحفظهم شريعته ووصاياه. إنّ عبور كلمة "عهد" من نوح في البداية، ثم مع إبراهيم ومع موسى، وصولاً إلى إرميا (٣١ : ٣١)، فالعهد الجديد مع الربّ يسوع[٨٣]، لَدليلٌ جليٌّ على التواصل بين الله وشعبه، لا بل والبشريّة قاطبة، الأمر الذي لا نجد له مرادفًا في القرآن.

المراجع

قزّي جوزف، **هذا هو الإسلام**، دار لأجل المعرفة، ديار عقل، لبنان ٢٠٠٧.

قاموس المعاني. قاموس عربيّ عربيّ.

القرآن الكريم، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان (دون تاريخ).

المعجم: اللغة العربيّة المعاصرة.

المعجم: المعجم الوسيط.

(٨١) "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ" (**سورة آل عمران ٣: ٨١**).

(٨٢) **سورة المائدة ٥: ١٢.**

(83) A. VANHOYE, *La nuova alleanza nel NT* (Roma, 1990) 31, 62-63.